بلنسية في ظل الإسلام

الباحثة/ مروة محمد رشاد احمد

ملخص:

وإلى هنا نكون قد انتهينا من البحث تحدثنا فيه عن مدينة بلنسية في الأندلس وذكرنا بعض من أعمال بلنسية مثل شاطبة ودانية والمنارة وبنشكلة ومربيطر وغيرها من القرى .كانت بلنسية مركزا للكورة وقاعدة من أهم قواعد شرق الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها . واختلفت الروايات حول فتح بلنسية إلى آراء متعددة الرأي الأول يرى أنها فتحت على يد القائدان موسى بن نصير وطارق بن زياد والرأي الثاني يرى أن عبدالعزيز بن موسى بن نصير هو من فتحها ومرت بلنسية بفترات حكم أولا الفتح وعصر الولاة (٩٢-١٣٨ هـ / ٧١١-٧٥٦م) ثم بعد ذلك عصر الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢ هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م) وانقسم إلى مرحلتين تاريخيتين الأولى عصر الإمارة والثانية عصر الخلافة وقد شهد عصر الإمارة عدة ثورات وفتن استهدفت القضاء على الدولة الأموية منذ دخول عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس منها ثورة عبدالرحمن بن حبيب الفهري وتوالت الأحداث إلى أن قامت الدولة العامرية ووقعت بلنسية في القرون التالية تحت سيطرة حكم ملوك الطوائف ثم المرابطين ثم الموحدين .

Abstract:

Until here we had finished the research that covered the city of Valencia in Andalus, and we mentioned some of Valencia work such as Shatibah, Daniya, Minarat, Binshikla, and Murbitar, and other more vellages. Valencia was the center and the most important areas in the east of Andalus since the Islamic conquest.

There are different opinions around the Valencia conquest, and the first opinion is that the conquest happened by the lead of these two leaders (Musa Ibn Nusair and Tariq Ibn Zeyad). The second opinion is the conquested happened by the lead if Abdulaziz Ibn Musa IbnNusair. Valencia has passed with many different governerstheoughoit the history; First: the conquest and the leaders dynasty (٧١١-٧٥٦ AD/ ٩٢-١٣٨ H). Then, the Ummayed dynasty (٧٥٦-١٠٣١ AD/ ١٣٨-٤٢٢H), and this dynasty had divided into two history stages, Emirates and Caliphate. The emirates period has witnessed a lot of revolutions and fascinate that was targeting to eradicate the Ummayed dynasty since the entrance of AbdurahmanAddakhil to Andalus. Some of these revolutions were the revolution of Abdulrahman Ibn Habeeb Alfahry and then the events kept following each other until the establishing of Al-Aamiriyah governor, and then Valenica started to fill down during the following centuries under the control of the kings of the sects, then the Almoravids, then the Almohads.

الكلمات المفتاحية :

بلنسية(Valencia) : مدينة في بلاد الأندلس وتقع مدينة بلنسيه في إقليم شرق الأندلس (El Levante) على مسافة ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط فتحها المسلمون عام ٧١٤ م ، وكانت بلنسيه في العصر الإسلامي قاعدة من أهم قواعد الأندلس، ومقرًا للعمال، ومركزًا للكورة التي كانت تسمى باسمها.

طرطوشة (Tortosa) : كانت تسمى أيام الرومان **Dertosa** وتقع بشرق الأندلس شمال بلنسيه على ساحل البحر المتوسط، وكانت مركزا هاما زمن العرب، اشتهرت بصناعة السفن لوفرة أشجار الصنوبر بها.

دانيه (Denia) : أطلق عليها الرومان اسم **(Dianium)** وهي مدينة حصينة من مدن شرق الأندلس وقاعدة بحرية هامة، تقع على ساحل البحر المتوسط، وكانت مزودة بقصبة منيعة واشتهرت بصناعة السفن .

مرسيه (Mercia) : أسست سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م على يد جابر بن مالك عامل تدمير في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكانت مرسيه قبل ذلك قوية خاملة في كورة تدمير على الساحل الشرقي للأندلس، ثم صارت قاعدة الكورة، وسميت الكورة كلها باسمها، وكان يطلق عليها اسم البستان، لكثرة جناتها المحيطة بها.

طليطلة : تقع على نهر تاجة، وكانت حاضرة لدولة القوط الغربيين، وتتميز بحصانتها ومتاعتها .

عصر الدولة الأموية : قامت الدولة الأموية منذ دخول الأمير عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) لقرطبة سنة (١٣٨ هـ /٧٥٦م). وينقسم عصر الدولة الأموية الى مرحلتين الأولى بلنسية في عصر الإمارة (١٣٨ -٣١٦ هـ /٧٥٦-٩٢٩م) والثانية بلنسية في عصر الخلافة الأموية (٣١٦-٤٢٨ هـ /٩٢٩-١٠٣١م) .

ثورة عبدالرحمن بن حبيب الفهري : هذه الثورة كانت جزءا من مخطط واسع النطاق يهدف إلى إسقاط دولة عبد الرحمن، اشتركت فيه العناصر المحلية في الأندلس مع قوتين كبيرتين متحالفتين هما الدولة العباسية والدولة الكارولنجية .

بلنسيه في ظل الإسلام

من المعروف أن الرومان هم الذين أسسوا بلنسية القديمة في عام ١٣٩ ق. م. ثم استولى عليها القوط الغربيون عام ٤١٣م.

وتعتبر مدينة بلنسيه[١]، كما رأينا من المدن الرومانية الإنشاء في شرق الأندلس، فقد أقامها الرومان في سنة ١٣٨ ق. م، وأنزل فيها جونيوس بروتوس بعد موت الثائر فيرياث بعض أجناد رومة الذين ظلوا يرتبطون مع رومة برابطة الولاء [٢].

وكان الاسم اللاتيني الأصلي للمدينة هو فالنتيا "Valentia" والتي تعني القوة والبسالة، بسبب الممارسة الرومانية في التعرف على شجاعة الجنود الرومان السابقين بعد الحرب[٣].

وأثناء حكم الممالك الإسلامية، لم يساير المُسلمين الإسبان في إطلاق اسم الإشبان على تلك المدينة، بل غيروا بعض حروفه وأدخلوا تعديلا علي رسمه فأصبح "بُلَنْسِية"، وأوردوه بهذا الرسم في مؤلفاتهم التاريخية والجغرافية. وصفها المُسلمون بـــ "مدينة التراب" بسبب كثرة التراب لاتساع محارثها ومزارعها[٤].

فتحها المسلمون عام ٧١٤ م، وأرسى فيها وفي مدائن شاطبة ودانية وساجنتوم قواعد الحكم الإسلامي. وإلى المسلمين في عهد دولتهم بالأندلس يرجع الفضل في ازدهار سهل بلنسية، فقد شقوا على جانبي النهر أو الوادي الأبيض إحدى وثلاثين ترعة، وأجروا منه المياه لري أراضيه كلها بالراحة. وكانوا يسمون هذه الترع السواقي. ودخل هذا الاسم العربي في لغة الإسبان، وبقى ماثلاً فيها حتى الآن. وقد كانت في العهد العربي ثالثة مدائن الأندلس في الترتيب بحسب عدد سكانها الذي تجاوز آنذاك ربع مليون نسمة.

التاريخ الأندلسي لمقاطعة بلنسيه:

فتح طارق بن زياد عام ٧١٤م، وأرسى فيها وفي مدائن شاطبة ودانية وساجنتوم قواعد الحكم الإسلامي. ولم يسايروا الإسبان في إطلاق اسم الإشبان على تلك المدينة، بل غيروا بعض حروفه وأدخلوا تعديلا على رسمه، فأصبح "بُلَنْسِية"، وأوردوه بهذا

---

(١) كانت مدينة بلنسيه قبل الفتح الإسلامي مجرد فرضة صغيرة على البحر المتوسط (بحر الروم) تسمى فالنثيا (**Valencia**) ثم قام العرب بعد الفتح بتعريب هذا الاسم وصارت تعرف باسم بلنسيه. راجع: حسين مؤنس: رحلة الأندلس، الطبعة الأولى، نشر الشركة العربية للطباعة، القاهرة: ١٩٦٣، ص ٢٧١.

(٢) **Eduard Hernandez Y Francisco Hemnadez, Historia de Espana, dirigida por Menendez Pidal, II,Madride, ١٩٥٥, p, ١٣٤. Lavi – provencal, Valencia, Ency, of Islam, p ٩٨٥.**

(٣) A. E. Astin (١٩٨٩). The Cambridge Ancient History. Cambridge University Press. P, ١٤٠

(٤) الحُلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثالث، صـــ ١٨٢

الرسم في مؤلفاتهم التاريخية والجغرافية. وإلى المسلمين في عهد دولتهم بالأندلس يرجع الفضل في ازدهار سهل بلنسية، فقد شقوا على جانبي النهر أو الوادي الأبيض إحدى وثلاثين ترعة، وأجروا منه المياه لري أراضيه كلها بالراحة، وكانوا يسمون هذه الترع السواقي. وقد كانت في العهد الإسلامي ثالثة مدائن الأندلس في الترتيب بحسب عدد سكانها الذي تجاوز آنذاك ربع مليون نسمة.

وكانت بلنسيه في العصر الإسلامي قاعدة من أهم قواعد الأندلس، ومقرًا للعمال، ومركزًا للكورة التي كانت تسمى باسمها [١].

وتقع مدينة بلنسيه في إقليم شرق الأندلس (El Levante) على مسافة ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط [٢]. (بحر الشام)، وكان لها مرسى صغير عليه يسمى جراو (Grao)[٣]. ويحدها من الشمال مدينة طرطوشة [٤]، ومن الجنوب مدينة دانية [٥] ومرسيه [٦] (تدمير)، ومن الغرب طليطلة [٧]، وتظل بوجهها الشرقي على البحر المتوسط.

ولعل أقدم نص جغرافي بين أيدينا عن بلنسيه هو نص الجغرافي الشهير أحمد الرازي (ت سنة ٣٤٤هـ) الذي أمدنا بمعلومات جغرافية مدينة دانية [٨]، ومرسيه [٩]. (تدمير)، ومن الغرب طليطلة، وتطل بوجهها الشرقي على البحر المتوسط.

---

(١) راجع: الشريف الإدريسي، صفة المغرب، وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق، ص ١٩١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، ص ٧٣٠، ابن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض العطار، ص ٤٧، محمد سامي عسل: أوروبا دراسة في جغرافية القارة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٧٥م، ص ٣٨٣.

(٢) الإدريسي، نفسه، ص ١٩١، الحميري، نفسه، ص ٤٧.

(٣) ابن غالب الأندلسي، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق لطفي عبد البديع، ص ٢٨٥، وانظر:

Levi- provencal, Valencia, Ency, of Islam, Leiden, ١٩٦٠., p. ٩٨٥, & Encicle pedia de la cultura espanola, art, Valencia, Medrid, ١٩٦٣, T. V. P. ٥٣٦.

(٤) طرطوشة (**Tortosa**) كانت تسمى أيام الرومان **Dertosa** وتقع بشرق الأندلس شمال بلنسيه على ساحل البحر المتوسط، وكانت مركزا هاما زمن العرب، اشتهرت بصناعة السفن لوفرة أشجار الصنوبر بها. انظر (الإدريسي، نفسه، ص ١٩٠، ابن غالب، نفسه، ص ١٨٥، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار صادر، بيروت: ١٩٦٠، ص ٥٤٤، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج٣، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى الحلبي بمصر، ١٩٣٩، ص ٧-٨، محمد الفاسي: الأعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد الثالث، الرباط، ١٩٦٢م، ص ٢٥-٢٦.

(٥) دانيه (**Denia**) أطلق عليها الرومان اسم (**Dianium**) وهي مدينة حصينة من مدن شرق الأندلس وقاعدة بحرية هامة، تقع على ساحل البحر المتوسط، وكانت مزودة بقصبة منيعة واشتهرت بصناعة السفن. انظر: المذري، نفسه، ص ١٩، الإدريسي، نفسه، ص ١٩٢، الحميري: نفسه، ٧٦، أرسلان، نفسه، ج٣، ص ٣٩٢- ٣٩٣).

(٦) مرسيه (**Mercia**) أسست سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م على يد جابر بن مالك عامل تدمير في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكانت مرسيه قبل ذلك قوية خاملة في كورة تدمير على الساحل الشرقي للأندلس، ثم صارت قاعدة الكورة، وسميت الكورة كلها باسمها، وكان يطلق عليها اسم البستان، لكثرة جناتها المحيطة بها. انظر: الطبري، نفسه ص ١-٦، ابن غالب: نفسه، ص ٢٨٤، الحميري، نفسه، ص ١٨١.

(٧) طليطلة: تقع على نهر تاجة، وكانت حاضرة لدولة القوط الغربيين، وتتميز بحصانتها ومتاعتها، انظر: الإدريسي نفسه، ص ١٨٧، القزويني، نفسه، ص ٥٤٥- ٥٤٧، الحميري: نفسه، ص ١٣٠.

(٨) **Levi Prouvencail, La descripition de ١ Espagne d'Ahmad Al- Razi, a ١- Andalus, Vol, XVIII, Madrid, ١٩٥٣, p. ٧١.**

(٩) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧، ص ٦٧.

ومما لا شك فيه أن هذا النص على اختصاره أهم النصوص الجغرافية التي وصلت إلينا، فكل لفظة فيه لها قيمتها الجغرافية، فقوله أنها جمعت البر والبحر يشير إلى أن لها ميناء له ميزات الموانئ، وأنها كانت مدينة لها خطة واسعة أي تتبعها أراضي زراعية تمدها بالأطعمة والمحاصيل الوافرة.

مملكة بلنسيه ومرسيه:

من عادة المؤرخين والجغرافيين أنهم إذا وصلوا إلى ذكر مملكة بلنسيه وساحل إسبانية الشرقي يذكرون معها جزائر الباليار التي هي مورقة وميتوزقة ويابسة، ومنهم من يذكر هذه الجزائر مع كتلونية: لأنها مصاقبة من الجهة الشمالية لكتلونية كما هي من الجهة الجنوبية مصاقبة لبلنسيه، ونحن اخترنا أن نفرد لهذه الجزائر جزءا مستقلا من الحلل السندسية تحت اسم "الأصول المعرقة والغصون المورقة في مجاسن جزيرة ميورقة، فنذكر هذه الجزيرة وأخواتها ونطوف بجغرافيتها وتاريخها وجميع أخبارها، ونعرج على آثارها ونتكلم على رحلتنا إليها، ونترجم من نبغ فيها من العلماء والأدباء واشتهر من الأمراء والعظماء، سواء كانوا من العرب أو من الأسبانيين، فلذلك سنمضي الآن في ذكر مملكة بلنسيه وتوابعها مبتدئين بمدينة طرطوشة التي هي آخر كتلونية من جهة الجنوب وأول البلاد التابعة لبلنسيه من جهة الشمال.

وقد كانت طرطوشة في الماضي– وبقيت مدة طويلة– هي الحد الفاصل بين المسلمين والنصارى، وكان يقيم بها في أيام الخلافة الأموية مندوب من قبل الخليفة ينظر في أمور الداخلين من بلاد الأفرنج إلى المملكة الإسلامية، فعلى يده يكون التسريح في الدخول والخروج، وممن تولوا هذه الخطة القاضي منذر بن سعيد البلوطشي الشهير لعهد الخليفة الناصر عبد الرحمن.

طرطوشة:

وطرطوشة [1]. اليوم مدينة متوسطة واقعة على ضفة نهر أبره الذي ينحر على مقربة منها إلى البحر وعدد سكانها نحو من ٢٨ ألف نسمة، وهي مركز أسقفية، وقد كان يقال لها في زمان الرومانيين، دروتوزة وكان لها أيضا اسم آخر، وهي مستعمرة وجولية السعيدة، وكان لها حق في سلك العملة، وبالنظر لموقعها الجغرافي كانت لها دائما أهمية بين المدن الأسبانية، لا سيما أنه بالقرب منها غابات من الصنوبر المتين

(١) يقول الحميري بن عبد المنعم: إن مفرغ وادي طرطوشة في البحر يقال له "القبطيل: ويعرف أيضا بالعسكر لأنه موضع عسكر به المجوس واحتفروا حوله خندقا أثره باق إلى الآن.

الصالح لإنشاء السفن، فلا تخلو طرطوشة أبدا بهذا السبب من دار صنعة بحرية، وقد استولى عليها العرب في بداية الفتح ولكن الإفرنج جاءوا بعد استيلائهم على كتلونية فهاجموا طرطوشة، وفي سنة ٨٠٩ للمسيح حاصرها الملك لويس الحليم بن شارلمان، فعجز عنها، فانكفأ عن حصارها ثم عاودها بعد سنتين ففتحها، ثم عاد العرب، فاسترجعوها وعلى طرطوشة وقعت الوقائع بين لويس الحليم بن شارلمان والحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخلي الأموي، الذي أرسل ولده عبد الرحمن بجيش أخرج منها الإفرنج.

قال لاوي بروفنسال في الأنسيكلوبيدية الإسلامية: إنه نظرا لوجود طرطوشة في طرف بلاد المسلمين كان الخلفاء يجعلونها منفى لمن يكرهون إقامته في داخل المملكة.

قال: وإليها نفى المنصور بن أبي عامر عبد الملك بن إدريس الحزيري، ولما تشظت عصا الخلافة ونجمت ملوك الطوائف، صارت طرطوشة إمارة مستقلة قام بها نبيل الصقلبي من المماليك العامرين، واستولى نبيل هذا أيضا على بلنسيه لكن لم يطل أمره بها، وكان قبل نبيل تولى عليها الفتى لبيب وفتى آخر اسمه مقاتل لقب نفسه بسيف الدولة.

وفي سنة ٤٥٢ للهجرة وفق ١٠٦٠ للمسيح ثارت طرطوشة بأميرها نبيل الصقلبي فاضطر أن يلجأ إلى المقتدر بن هود صاحب سرقسطة، فبقيت هذه المدينة في أيدي ملوك بني هود إلى أن تقلص ظل الإسلام عنها، وكان النصارى استولوا عليها سنة ٥١٢ هجرية وفق ١١١٨ مسيحية، ثم أخرجهم المسلمون منها إلى أن ضاق النصارى ذرعا بغارات المسلمين البحرية التي كان أكثرها صادرا عن طرطوشة بمكانها مركزا عظيما لقرصان المسلمين، فصمم ريموند بيرانجة الرابع صاحب برشلونة على أخذ طرطوشة، ووافته نجدات من فرسان الهيكيلين الصليبيين وأساطير بيزة وجنوة من إيطالية، فاقتحموا البلدة برا وبحرا واستولوا عليها في ١٤ شعبان سنة ٥٤٣ وفق ٣٠ ديسمبر سنة ١١٤٨، وهي السنة التي استولى فيها النصارى على لاردة وإفراغه[1].

فكر المسلمون على طرطوشة وكادوا يفتحونها فدافع الأسبان عنها أشد دفاع، وظهر من النساء ذلك اليوم استبسال نادر المثال حتى قيل: إنهن كن السبب في حفظ

(١) أما صبح الأعشى، فيجعل ماردة مكان لاردة، فهو يقول في الجزء الخامس صفحة ٢٦٧ من الطبعة الأميرية بمصر ما يلي في عرض البحث عن ملوك قشتالة: ولما فشلت ريح بني عبد المؤمن المستنصر بن الناصر استولى الفونش على جميع ما فتحه المسلمون من معاقل الأندلس، ثم هلك الفنس (أي الفونس). وولى ابنه هراندة (أي فرديناند) وكان أحول، وبذلك يلقب فارتجع قرطبة وإشبيلية من أيدي المسلمين وزحف ملك أراغون في زمنه فاستولى على ماردة وشاطبة ودانية وبلنسيه وسرقسطة والزهراء والزاهرة وسائر القواعد والثغور الشرقية.

طرطوشة من الوقوع في يد الإسلام؛ فلذلك منحهن بيرانجة وساما اسمه وسام الفاس، وهو عبارة عن شرريطة حمراء يحملنها ويتبخترن بها، وكذلك أعطين حق التقدم على الرجال في حفلات الزواج.

وكان خلفاء بني أمية شديدي الاعتناء بطرطوشة، نقل ابن عبد المؤمن الحميري أنهم حصنوها بأسوار منيعة وجعلوا لها أربعة أبواب وعمرت في أيامهم عمرانا ذا بال.

وبنى فيها الخليفة الناصر عبد الرحمن سنة ٣٢٣ وفق ٩٤٥ دار صنعة للسفن لا يزال تاريخ إنشائها منقوشا على الحجر(١). وكان في طرطوشة مسجد جامع بخمسة صفوف من الأقواس ذكر لاوي بروفنسال أنه مبني من سنة ٣٤٥ للهجرة، ولكن رأيت في دليل بديكر أن الكنيسة الكاتدرائية في طرطوشة هي من بناء مطران اسمه "غوفريدة" اشتغلوا في بنائها من سنة ١١٥٨ إلى ١١٧٨، وذلك في مكان مسجد بناه الخليفة الناصر سنة ٩١٤ والأقرب أن يكون هذا المسجد هو المسجد الجامع، هذا إلا إذا كان هناك مسجد آخر بناه الناصر.

وورد ذكر طرطوشة في صبح الأعشى في باب التاريخ عندما ذكر بني هود فقال: وكان من ممالك بني هود هؤلاء طرطوشة وقد كان ملكها مقاتل أحد الموالي العامريين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ومات سنة خمس وأربعين، وملكها بعده يعلي العامري ولم تطل مدته.

وملكها بعده نبيل أحدهم إلى أن نزل عنها لعماد الدولة أحمد بن المستعين (بن هود) سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، فلم تزل في يده ويد بنيه بعده إلى أن غلب عليها العدو للخذول في ما غلب عليه من شرقي الأندلس اهـ.

بنشكلة وعلماؤها:

وعلى مسافة خمسين كيلو مترا من طرطوشة مدينة بني كارلو Benicarlo وسكانها ثمانية آلاف ولها حصن قديم، وفيها كنيسة بديعة لها قبة جرس مثمنة مزينة

(١) نشر لاوي بروفنسال في كتابه "الكتابات العربية في إسبانية الكتابة المنقوشة على الحجر المتعلقة بإنشاء عبد الرحمن الناصر دار الصناعة البحرية في طرطوشة المحفوظة في الجدار الخارجي الشمالي من كنيسة هذه البلدة ولها مثال عنها في المتحف الآثار بطركونة والمتحف الآثار الوطني في مجريد وهذه الكتابة هي عشرة أسطر بالخط الكوفي البسيط وهي هي: بسطة... أمر بإنشاء هذه الدار عدة للصناعة والمراكب عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين –أيده الله– فتم بناؤها على يدي قائده وعبده عبد الرحمن بن محمد بعون الله ونصره في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وكتب عبد الله بن كليب. قال لاوي بروفنسال: إن هذه البلاطة التذكارية هي من أجمل الوثائق التاريخية الحجرية المحفوظة من أيام أسبانية الإسلامية، قال: والملحوظ من قوله: عدة للصناعة والمراكب" أنها لم تكن للإنشاء فقط، بل لإصلاح الأساطيل الخليفية. ثم نقل لاوي بروفنسال كلام عبد المنعم الحميري بشأن طرطوشة، وهو: وعلى المدينة سور صخر من بناء بني أمية على رسم أولي قديم، ولها أربعة أبواب، وأبوابها كلها ملبسة بالحديد، ولها أرباط من جهة الجوف والقبلة ودار الصناعة، قد أحذق على ذلك كله سور صخر بناه عبد الرحمن بن النظام، وبها جامع من خمس بلاطات، وله رحبة واسعة، بني سنة خمس وأربعين وثلاثمائة... الخ. ولاوي بروفنسال يظن أن عبد الرحمن بن النظام هذا هو عبد الرحمن بن محمد الذي تم إنشاء دار الصناعة هذه على يديه.

بالزليج الأزرق، وإلى الشمال من هذه البلدة حصن بنشكلة [١]. ويسمى هذا الحصن بجبل طارق بلنسيه؛ لأنه جزيرة متصلة بالبر بلسان من الرمل، وقد بقي هذا الحصن في أيدي العرب إلى سنة ١٢٣٣ فاستخلصه منهم جاك الأول ملك أراغون، وقد دخل الفرنسيس هذا الحصن سنة ١٨١١م، وقد أقام أحد البابوات بهذا الحصن، وهو البابا بندكتس الثامن الذي أعلن مجمع كونستانزا إسقاطه من البابوية، فجاء بكرادلته إلى هذا الحصن وأقام به سبع سنين إلى أن مات وذلك سنة ١٤٢٤ [٢].

ثم إن الخط الحديدي ينحرف عن الساحل مصعدا في الوادي الذين بين جبال إيريه Irta وجبال أتاليا القلعة وعلى مسافة ٧٢ كيلو مترا من طرطوشة قلة شير Chiber[٣]. وهي التي يظن المستشرق دوزي في كتاب الشريف الإدريسي، وقال: إنها رابطة منيعة على نحر البحر الشامي يسكنها قوم أخيار، وعلى مسافرة ٧٨ كيلو مترا من طرطوشة بلدة يقال لها طوريلانكة بيوتها أشبه بأبرا وعلى شماله قرية يقال لها البلاط في مستنقع من الأرض، ثم قرية اسمها أوروبيزه.

ومن هناك تبدأ بمشاهدة جنان البرتقال، ويستقبلك جبل فيخترقه الخد الحديدي في نفق وعلى مسافة ١١٠ كيلومترات من طرطوشة بلدة بني قاسم، وهي ذات موقع بديع وفيها برتقال ونخل وقبة كنيستها مزخرفة بالزليج، وعلى مسافة ١٢ كيلو مترا من هناك مدينة قسطلون البلانة، وهي مدينة سكانها ٣٨ ألف نسمة وهي مركز مقاطعة، كما أنها مركز تجارة عظيمة البرتقال ولها فرضة على البحر يقال لها: غراو Crao تتصل بخط حديدي إلى البلدة وإلى هذه البلدة ينسب مصور شهير اسمه ريبالته، وله تصاوير محفوظة في هذه البلدة أحدها في الكنيسة الكبرى.

وفي هذه البلدة أيضا تمثال للملك جايم الذي بناها وهو من ملوك أراغون، ثم يمر القطار الحديدي بمكان اسمه المجر، على جسر ثلاث عشرة قوسا فوق قناة قسطلون المشتقة من النهر [٤].

---

(١) أشار ابن الأبار إلى قرية اسمها شبير قال: إنه ينتسب إليها أبو الحجاج يوسف الشبيري الزاهد، صحب أبا عبد الله بن مجاهد، وسلك طريقه، وشهر بالصلاح والورع وله في ذلك أخبار غجيبة، توفي سنة ٥٨٧ أو نحوها وقد قارب الثمانين.

(٢) من الآثار الإسلامية الباقية في هذه البلدة كتابة على قبر نقلها لاوي بروفنسال في كتابه الموسوم بـ "الكتابات العربية في أسبانية" وهي أحد عشر سطرا بالخط الكوفي ا لمجوف المنقوش في الحجر:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾

(٣) يمسب إلى قرية ليرقاط من عمل أبيشة عبيد الله بن عيشون المعافري، سكن بلنسيه وستأتي ترجمته بها.

(٤) من الآثار الإسلامية الباقية في هذه البلدة كتابة على قبر نقلها لاوي بروفنسال في كتابه الموسوم بـ "الكتابات العربية في أسبانية"، وهي أحد عشر سطرا بالخط الكوفي للجوف للنقوش في الحجر:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾، هذا قبر غصن ابنة فرج، توفيت ليلة الأربعاء لست خلت لشوال الذي من سنة ثلاثية وخمسين وأربعمائة.

ومن هناك تفيض إلى بلدة يقال لها: فيلا ريال وهي بلدة عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة، وكنسيتها ذات قبة مصنوعة بالزليج ولها قبة جرس مثمنة وموقع هذه البلدة من أجمل المواقع، وفيها بساتين البرقتال يتخللها بعض النخيل والنساء هناك تستقي بأباريق غريبة الشكل ترجع إلى عهد قديم.

ولا تزال مياه المجر تتوزع على تلك البساتين إلى مدينة أبوريانة التي يصدر منها برتقال كثير، وانظر ما قال الإدريسي عن بوريانة: فقد ذكر أنه من حصن بنشكلة إلى عقبة أبيشة [١]. سبعة أميال وقال: إن هذه العقبة جبل معترض عال على البحر، والطريق عليه لابد من السلوك على رأسه، وهو صعب جدا، ونحن نظن أن هذا الجبل هو الذي تقدم ذكره قبل الوصول إلى قرية بني قاسم وأن الخط الحديدي يخترقه بواسطة نفق، ثم يقول: إن منه إلى مدينة بوريانة غربا ٢٥ ميلا، ويقول: إن مدينة بوريانة مدينة جليلة غامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم وهي في مستو من الأرض، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال [٢].

ويقول الإدريسي: ومن بوريانة إلى مرباطر وهي قرى عامرة وأشجار ومستغلات ومياه متدفقة ٦٠ ميلا وكل هذه الضياع والأشجار على مقربة من البحر، ومنها إلى بلنسيه ١٢ ميلا [٣].

مدينة المنارة:

تصل إلى مدينة المنارة، وكان حصنها في القديم لعهد العرب مفتاح المملكة البلنسية ويظهر أنه وجد في الأندلس عدة منابر، فإن ياقوت الحموي في المعجم يذكر إقليم المنارة بالأندلس، ويقول: إنه يقرب شذونة، ثم ينقل عن أبي طاهر السلفي ترجمة رجل يقال له أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن سلامة الأنصاري المناري: نسبة إلى

وقد ذكر لاوي بروفنسال أن لفظة غصن –وهو اسم المدفونة– غير ظاهرة تماما كسائر الكتابة، وإنما يرجح أن الاسم هو غصن وهو لائق باسم امرأة.

(١) ينسب إلى قرية لبرقاط من عمل أبيشة عبيد الله بن عيشون المعافري، سكن بلنسيه وستأتي ترجمته بها.

(٢) ينسب إلى بوريانة محمد بن أحمد بن عثمان: سكن بلنسيه، قال ابن الأبار في التكملة: كان من جلة الأدباء ومشاهير الشعراء، وعمر وأسن وكان يصحب أبا محمد القلني، ويحضر مجلسه وقد أخذ عنه أبو عبد الله بن نايل، وأنشدني أبو الربيع بن سالم قائلا: إن أبا عامر البرياني أنشده لنفسه في الصنم الذي يشاطبه:

بقيـة من بقايا الروم معجبة ... أبدي البناة بها من علمهم حكما

لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم ... تتابعت بعد سموه لنا صنما

كالمبرد الفرد ما أخطأ مشبهه ... حقا لقد برّد الأيام والأمما

كأنه واعظ طال الوقوف به ... مما يحدث عن عاد وعن إرما

فانظر إلى حجر صلد يكلمنا ... أشجى وأوعظ من قس لمن فهما

(٣) يقول الحميري في الروض المعطار: إن بريانة: بضم أولها وكسر ثانيها وتشديد الياء هي مدينة جليلة عامرة بقرب عقبة أبيشة، وإنها كثيرة الخصب والأشجار والكرم، وهي في مستو من الأرض، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي قريبة من بلنسيه.

منارة من ثغور سرقسطة ولا يزال يوجد في ناحية سرقسطة بلدة اسمها المنارة، ثم يذكر السلفي اسم رجل يقال له أبو الفتح محمد المناري، وآخر اسمه علي بن محمد المنـــاري، كان يصحب أبا عبد الله المغامي.

فأما المنارة التي في إقليم شذونة فلا شك بأنها ليست هذه؛ لأن إقليم شذونة هو في جنوبي إشبيلية بعيد جدا عن منارة بلنسيه، وفي منارة بلنسيه هذه كانت الوقعة المـــشئومة على المسلمين سنة ١٢٣٨، وعلى أثرها استولى جاك الأول ملك أراغون على المملكـــة البلنسية، وقد بنى الأسبانيون كنيسة في المكان الذي وقعت فيه الواقعة، ولا يزال في بلدة المنارة بقايا هيكل قديم وفي مجال يقال له "شلية" قناة معلقة قديمة، وفي مكان آخر يقـــال له كابان: قنطرة قديمة وهناك كتابات قديمة من أنواع شتى تدل على عظمة الـــبلاد فـــي الأعصر الغابرة، ثم إن هناك قرية يقال لها: فالس تحيط بها عدة قرى كلهـــا فـــي مـــرج الفيج مشهور بالغلات لا سيما الحنطة، ثم تتقدم فتقطع نهرا يقال له نهر بلانسيه [١].

مربيطر:

كان يقال لها في القديم لعهد القرطاجنيين والرومان، ساقوننتوم وهي بلـــدة أبيريـــة في الأصل يقال: إنه كانت فيها حالية يونانية اتفقت مع الرومانيين على إدخالهم في هـــذه البلدة، وذلك قبل المسيح بمائتين وعشرين سنة، وكان لقرطاجنـــة مملكـــة عظيمـــة فـــي أسبانية، فخاف انبيال بين أميلكار خلف أسذوربال الأسد الرئيال [٢]. أن يتبسط الرومـــان في أسبانية فزحف إلى مربيطر في ربيع سنة ٢١٩، فقاومه أهل مربيطر مقاومة شـــديدة، وحرج أنيبال في المعركة، وكان في جيش القرطاجنيين آلة قتال يقال لها الكـــبس تقـــذف بالشرر، ولها رؤوس محددة من كل جهة فقلما كان العدو يثبت أمام هذا الكبش النطـــاح، إلا أن أهل مربيطر ثبتوا أمامه بشدة المقاومة التي امتاز بها الأسبانيون ولا تـــزال هـــذه المزية تظهر فيهم في جميع حروبهم القديمة والحديثة؛ فإنهم يستبسلون فـــي المقاومـــات استبسالا قلما يتحدث به التاريخ عن أمة من الأمم.

تأمل في الحروب الكارولوسية التي نشبت فيما بينهم، وفي الحرب التـــي وقعـــت بين الفرنسيس والأسبانيين عندما زحف بونابرت على أسبانية، وتأمل أيضا في الحـــرب

---

(١) هذه اللفظة بلانسية وبالأسبانيولي **Palancia** هي غير بلنسية المدينة الكبيرة التي يكتبها الأسبانيون فينبغي أن يعرف ذلك، وإلى الأولى ينسب أناس من أهل العلم، مثل أبي القاسم خلف بن عبد الله البلانسي، ذكره ابن الآبار في ترجمة محمد بن المعز اليفرني لليورقي.

(٢) يدور اسم أنيبال وأسد روبال، في تاريخ قرطاجنة الفينيقية، ولما كانت اللغة الفينيقية مشتقة من اللغة العربية أخذ الناس في تخريج هذه الأسماء على موجب اللغة العربية، فقالوا: لعل أنيبال معناه "النبال" وهو الذي يقاتل بالنبل: اي السهام، وقالوا في أسد روبال: الأسد الرئبال، ولكن ظهر فيما بعد أن اسم أنيبال هو حن يعل، وأن اسم أسد روبال هو أزر بعل، بمعنى عون بعل، أو عزر بعل، أي خادم يعل.

الأهلية الواقعة بينهم اليوم بينما نحن نكتب هذه السطور سنة ١٩٣٨م، كم استبسل فيها الفريقان: الحزب المحافظ من جهة والحزب الاشتراكي والشيوعي من جهة أخرى.

وكل هذا في الحقيقة يزيد في عظمة شأن العرب الذين غزوا هذه الأمة الشديدة الصليبية في عقر دارها، واكتسحوا بسائطها، وسخروا شم جبالها ورجالها، وأرغموا معاطس أجنادها وإيطاليا، وضربوا عليهم الذلة والمسكنة من جبل طارق إلى جبال البرانس وإلى خليج غشقوذية، ولبثوا عدة قرون وهم سادة هذه الأرض لا ينازعهم فيها منازع إلا كبوه على أم رأسه وعدة قرون أخرى وهم في جلاد شديد مستمر مع هذه الأمة الإسبانيولية، التي لا تعرف للموت معنى كما هو ظاهر من ماجريات الحرب التي نحن شاهدوها الآن، فلا حرم أن هذه الحرب أنت بشاهد جديد على فضل العرب إلى مدى لم يكن الناس يتصورونه من قبل، وأثبتت أن الأمة التي تأتي من وراء البحر وتتغلب على أمة صلبة العود كهذه الأمة، وتقارعها مدة ثمانمائة سنة في وسط جارها لهي أمة خارقة العادة في اليأس وقوة الإرادة.

وقد استرجع الرومان مربيطر سنة ٢١٤ ولكنه لم تعد إلى أهميتها الأولى، ولا نريد أن نقول: إن مربيطر كانت في زمن الرومان كمية مهملة، وكيف يمكن أن يقال ذلك وفيها ذات المرزح الروماني الشهير للتمثيل، وفيها ملعب الخيل المدهش؟ وكانت مربيطر لعهد الرومان تضرب فيها السكة، وكانت بها معامل خزف هي مضرب الأمثال في نوعها.

فأما ملهى التمثيل الروماني الذي سارت بذكره الركبان فموقعه على نصف المسافة بين أرض المدينة والقمة التي عليها القلعة، وقد لعبت بهذا الملهى أيدي العامة، فكانوا يبنون من حجارته ولم تصدر أوامر الحكومة بالمحافظة عليه إلا في أواخر القرن التاسع عشر، فمحل التمثيلا لم يبق منه تقريبا شيء، وإنما بقي إقباء رابعة عند المدخل وأجنحة من مقاعد المتفرجين، وهي مساحة تستوعب ثمانية آلاف مقعد على عدة صفوف تبلغ عشرة لكل صف منها درجات، وهي منفصلة بعضها عن بعض بثلاثة مماش كل ممشى أوسع من الآخر، والصفوف هي أوسع من العليا، وكانوا يصعدون إلى الطبقات العليا بأروقة رحبة ممتدة تحت درجات المقاعد بارتفاعات مختلفة، ولها مخارج نافذة إلى السلالم والمماشي الواسعة، وإن مسارح اللمحات التي تحيط بهذا الملهى من بدائع الطبيعة لتزيد في جماله.

وممن ينسب إلى مربيطر من أهل العلم لب بن أحمد بن عبد الودود بن غالب بن زنون، من أهل مربيطر، ترجمة ابن الأبار في التكملة وكنيته أبو عيسى، روى عن القاضي أبي عبد الله بن سعادة وغيره، ومال إلى الأدب وعني بصناعة النظم فبرح وأبدع قال ابن الأبار، سمعت أبا الربيع بن سالم يثني عليه، وأنشدني من شعره ولم يذكر تاريخ وفاته.

قال ابن الآبار في التكملة: قرأت بخط أبي العباس أحمد بن حسن بن سليمان أن ابن خيرون هذا حدثه قال: حدثني الفقيه الإمام الحافظ أبو عمر -يعني ابن عبد البر عن أشياخه، رضي الله عنهم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فأتوا إليه فقالوا: يا رسول الله إنا نسمع منك حديثا فإذا جئنا لنحدث به ذهب عنا اللفظ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا حدثتم عني بالمعنى فحسبكم.

فتح المسلمون لبلنسيه:

لم يرد سواء في المصادر العربية أو الأسبانية ما يشير إطلاقا إلى فتح المسلمين لبلنسيه، وقد فتح ذلك أبواب الظنون والتخمينات أمام الباحثين المحدثين لإبداء الرأي حول ذلك الموضوع، فهناك من يرى أنها فتحت على يد طارق بن زياد، الذي اتجه بعد استيلائه على سرقسطة إلى مينة طرطوشة وزحف بحذاء الساحل وتمكن من الاستيلاء على مربيطر وبلنسيه وشاطبة (١). ودانيه (٢)، وهناك من ينسب فتحها إلى الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن الأمير عبد العزيز افتتحها في جملة ما افتتحه من مدن شرق الأندلس، وتم ذلك في سنة ٩٥ هـ/ ٧١٤م (٣). ونميل بدورنا إلى الأخذ بهذا الرأي، وأرجح أن يكون الفتح الإسلامي بلنسيه قد حدث في ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير على الأندلس (٩٥- ٩٧ هـ/ ٧١٣- ٧١٦م) وذلك في

(١) إبراهيم أحمد العدوي: المسلمون والجرمان، الطبعة الأولى، نشر دار المعرفة، القاهرة: ١٩٦٠، ص ٢٢.
وراجع أيضا:

Levi- Provencal, Valencia, Ency., of Islam, p. ٩٨٥, Enc, dela culture Esp., p, ٥٣٦.

(٢) شاطبة **(Jativa)** مدينة قرب ساحل البحر المتوسط من أعمال بلنسيه وتقع جنوبيها، وكانت تسمى عند الرومان **(Setabis)** ويذكر الأدريسي أنها مدينة حصينة مزودة بقصاب يضرب بها المثل في الحسن والمتعة، وكانت في زمنه تشتهر بصناعة الكاغد. انظر: (لعذري، نصوص ص ١٨- ١٩، الإدريسي صفة المغرب والأندلس، ص ١٩٢، محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية، ص ٣١.

P. Ibars, Valencia arabe. T. I. p. (٣)٢٥

أمبروثيو أويثي ميرندا **(A. Huici Miranda)**، بلنسيه الإسلامية، تقرير معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٥، ص ١١. وراجع أيضا:

Joaquin Vallvé, El Reino de Murcia en la época musulmana, revista del instiuto egipcio de estudios islamicos, vol, ٢٠, Madrid, ١٩٧٩- ١٩٨٠, p ٢٧.

أعقاب افتتاحه لكورة تدمير وعقده الاتفاقية المشهورة مع حاكمها القوطي تيودمير (Teodomiro) الذي تمكن من الاستقلال بولايته مقابل دفع جزية سنوية(١).

وقد تأسست مملكة إسلامية في بلنسية عام ٤٠١هـ -١٠١٠م على يد اثنين من موالي المنصور بن أبي عامر، ولم يكن عملهما بهذه المملكة يعدو تفقدهما لشئون الري والمحافظة على نظامه في منطقة بلنسية، لكنهما تمردا وأعلنا استقلالهما على أن يكون الحكم شركة فيما بينهما، ولم يلبث أن توفي أحدهما، فأبعد أهلها الآخر عن المدينة، وصارت بلنسية خاضعة لحكم حاكم برشلونة إلى أن استردها عبد العزيز بن عبد الرحمن حفيد المنصور بن عامر. ووقعت بلنسية في القرون التالية تحت سيطرة حكام ملوك الطوائف .ثم المرابطين، ثم الموحدين، إلى أن سقطت في أيدي الفرنجة عام ١٢٣٨م بعد سقوط قرطبة بسنتين.

وقد تمتعت بلنسيه منذ أن ثبت المسلمون سلطانهم في شرق الأندلس بنوع من الهدوء والاستقرار، فلم يجد الثوار الذين طالما وثبوا بكورة تدمير بين الحي والآخر مجالا مواتيا لإعلان ثورتهم(٢).

وخرج الباحث الأسباني إيبارس (Ibars) على تخمينات الباحثين فيذكر نقلا عن اسكلانو (Escolano) عدة حوادث شاركت فيها بلنسيه خلال الفترة الأولى من تاريخها الإسلامي، وأول هذه الحوادث أن أبا قائم الهذلي (٣)، عامل بلنسيه من قبل عبد العزيز بن موسى شق عصا الطاعة على الأمير وأعلن الثورة في بلنسيه وأعمالها، وعندئذ خرج الأمير عبد العزيز بعسكر إشبيلية متجها إلى تدمير حيث انضمت إليه قواتها بقيادة واليها إبراهيم السكندري، ثم زحف بحشوده إلى بلنسيه، ونجح في إخماد الثورة والقبض على صاحبها الهذلي(٤).

---

(١) عن فتح كورة تدمير راجع: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف للنشر والتوزيع، بيروت: ١٩٦٢م، ص ١١٠- ١١١، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، الإسكندرية: ١٩٦٨م، ص ٣٨- ٣٩.

Claudio sanchez Albornoz, La Espana Musulmana, T, I, Cuarta edicion, Madrid, ١٩٧٤, pp. ٥٦- ٥٧.

(٢) **H. Miranda. Hist, mus, de Valencia, t., ١, p ٨٨**

وتعرف الفترة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس بعصر الولاة، وتمتد من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الأموية في الأندلس، أي من سنة ٩١ هـ/ ٧١١ م حتى سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، وكانت الأندلس خلال هذا العصر مجرد ولاية إسلامية تابعة لدار الخلافة دمشق، ويحكمها وال يعرف بالأمير يتبع أمير أفريقية من الناحية الإدارية، راجع: العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص ٨٥.

(٣) أورد الطبري ذكر شخصية الهذلي ضمن شهود اتفاقية تدمير سنة ٩٥ هـ/ ٧١٤ م، انظر (نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص ٥، حسين مؤنس: فجر الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة: ١٩٥٩م، ص ١١٥. فالباحث إيبارس جعل من أبي قائم الهذلي أول وال على بلنسيه بعد الفتح الإسلامي في عهد عبد العزيز بن موسى، ويضيف أنه توفي سنة ١١١ هـ/ ٧٣٠م.

(٤) **P. Ibars, Valencia arabe, T.I. pp. ٣٤- ٣٥.**

ويذكر إيبارس حادثا آخر وقع في ولاية عنبسة بن سميم الكلبي (١٠٢-١٠٧هـ/ ٧٢١- ٧٢٦م) وهذا الحادث يتلخص في قيام محمد بن بكر عامل بلنسيه – الذي سبق أن عقد اتفاق الصلح مع صاحب سرقسطة[١]. بالثورة في بلنسيه على الأمير ثم تقدم نحو تدمير للاستيلاء عليها، غير أن حاكمها إبراهيم السكندري بادر بالتحالف مع عامل بياسة[٢]، وتمكنا من إيقاع الهزيمة بوالي بلنسيه في موقعة حدثت بالقرب من تدمير، لم يلبث ابن بكر أن توفي بعدها ببضعة أيام[٣].

تعرضت الأندلس لمحن متوالية في القرن السادس الهجري= الثالث عشر الميلادي، ولم تجد من يمد لها يدا أو يصد عنها عدوانا، وزاد من ألم المحنة أن حكام الأندلس تخاذلوا عن القيام بواجبهم، وتخلوا عن مسئوليتهم التاريخية تجاه أعدائهم النصارى الذين تفتحت شهيتهم لالتهام قواعد الأندلس الكبرى واحدة بعد أخرى.

وبدلا من أن توحد المحنة صفوف حكام البلاد وتشحذ همتهم وهم يرون الخطر المحدق بهم من كل جانب فيهبوا للدفاع عن الأندلس وحمايتها من عدوان النصارى – راحوا يهرولون إلى أعدائهم، يمالئونهم ويصانعونهم على حساب الشرف والكرامة، بل على حساب وطنهم وأمتهم ودينهم.

مدينة إشكرب:

ومن مدينة مربيطر إلى مدينة إشكرب segorbe ٢١ كيلو مترا.

هذه البلدة هي من أعمال بلنسيه ينسب إليها أناس من أهل العلم كما سيأتي وسكانها اليوم سبعة آلاف نسمة، ولها موقع بديع على ضفة نهر بلانسيه، تحف بها أكام مشرفة على رؤوسها قصور شامخة واشتقاق اسم سيكورب ويقول الإسبانيول سيغورب هو من اسم سيغوبريكا الذي كان معروفا في زمان السلتيبيرين فهي بلدة قديمة وفيها كنائس ذات آثار عتيقة، وإذا أقبل الإنسان من مربيطر نحو بلنسية مر ببساتين بلنسية الشهيرة، وفي خلال البساتين كثير من القرى مثل بوزيل Puzol، وبويغ Puig وكابانيال Cabanial ثم يعبر القطار الحديدي نهيرا اسمه توريه Turia فيصل إلى بلنسيه.

---

(١) سرقسطة (**Zaragoza**): كانت تعتبر الثغر الأعلى لوقوعها في الشمال الشرقي للأندلس وهي قاعدة من قواعد مدن الأندلس وبناها يوليوس قيصر، وكانت تسمى بالمدينة البيضاء لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، راجع: العذري نفسه، ص ٢١- ٢٢، الإدريسي، نفسه، ص ١٩٠، الحميري، نفسه، ص ٩٦).

(٢)بياسة (**Bacza**): تقع على نهر الوادي الكبير، بينها وبين جيان (**Jaen**) عشرون ميلا، وكانت تعتبر من أعمالها، ووصفها الإدريسي بأنها مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات، راجع: الإدريسي: صفة المغرب والأندلس، ص ٢٠٣.

(٣) **Ibars, op, cit. pp.** ٣٥- ٣٨.

ذكر ياقوت الحموي مدينة إشكرب هذه فضبطها بالكسر مع سكون الراء وآخرها باء موحدة، وقال: إنها مدينة في شرقي الأندلس، ينسب إليها أبو العباس يوسف بن محمد بن فارة الإشكربي، ولد بإشكرب، ونشأ بجبان فانتسب إليها، وسافر إلى خراسان وأقام ببلخ إلى أن مات بها في سنة ٥٤٨.

بلنسيه في ظل الإمارة الأموية بالأندلس:

تحويل بلنسيه إلى كورة في عهد عبد الرحمن الداخل وأهم تقسيماتها الإدارية:

يسجل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية قرطبة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م نهاية لعصر الولاة وبناء وبداية لدولة بني أمية في الأندلس، وينقسم عصر هذه الدولة إلى مرحلتين تاريخيتين: الأولى ما اصطلح على تسميته بعصر الإمارة [١]. والثانية بعصر الخلافة [٢].

وأغلب الظن أن بلنسيه تحولت إلى كورة بعد استقرار الأمير عبد الرحمن الداخل في دست الإمارة بقرطبة وشرع في تنظيم دولته، واتخذ بلنسيه مركزا لكورة تحمل نفس الاسم، يقيم بها والي الكورة الذي يتولى بأمر الأمير الموي، وظلت بلنسيه تابعة للسلطة المركزية حتى سقوط الخلافة الأموية واندثار سلكها وما ترتب على ذلك من قيام دويلات الطوائف، فلم تخرج عن فلك قرطبة ولم يشق أحد ولاتها عصا الطاعة على الأمويين طوال هذا العصر.

ولا يشك أحد أن الفاتحين المسلمين وجدوا في الأندلس بعد افتتاحها نظاما إداريا ثابتا مقبولا فأقروه على حاله ومضوا عليه، وعلى هذا الأساس استوطن الفاتحون المسلمون المناطق التي نزلوها، وتوزعت قبائلهم أنحاء الأندلس واستقرت فيها [٣]، وانقسمت البلاد على هذا النحو إلى كور عديدة كانت بلنسيه إحدها.

وكانت مدينة بلنسيه قاعدة لكورة بلنسيه التي يدخل في أعمالها عدد من المدن والأقاليم [٤]، والأجزاء [٥]. والحصون، ونلحظ أن اصطلاح الكورة في بلاد الإسلام لم

(١) يمتد عصر الإمارة الأموية من سنة ١٣٨ هـ حتى سنة ٣١٦ هـ (٧٥٦- ٩٢٩م) وفيه كانت الأندلس إمارة مستقلة سياسيا عن الخلافة العباسية في المشرق، وعن قيام الدولة الأموية بالأندلس، راجع: (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت: ١٩٥٧م، ص ٥٠- ٥٤.

(٢) يبدأ هذا العصر منذ أن تلقب عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله في سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٩م، وعن قيام الخلافة الأموية بالأندلس، راجع: ابن حيان: قطعة من المقتبس، نشر بدرو شالميتا، مدريد، ١٩٧٩، ص ٢٤١- ٢٤٢.

(٣) حسين مؤنس: التقسيم السياسي والإداري للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد ١-٢، مدريد ١٩٥٧م، ص ٣١٩.

(٤) الإقليم هو كل قرية كبيرة جامعة أو البلدة وحوزها المتصل بها، فالإقليم يضم عدة قرى، وهو وحدة إدارية ومالية تتبع الكورة أو المدينة، (ياقوت، معجم البلدان، م١٢، ص ٢٦، مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٧٨).

(٥) يعرف ياقوت الجزء في كلامه عن مدينة رباح فيقول: "ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الأجزاء؛ فالأجزاء قد تكون مساحات من الأرض خصصت للإبل والماشية، ولا تكون مملوكة لأحد وإنما مشاعا للجماعة كلها، راجع: معجم البلدان، م٢، ص ٧٤٧، مؤنس نفسه، ص ٥٨٧.

يكن محددا في معناه على النحو الذي تتصوره كإقليم provincial أو مديرية بالمفهوم الحديث، ولعل أدق تعريف له قول ياقوت: "والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قضية أو مدينة أو نهر يجمع اسمها"(١). فالكورة تقسيم إداري له حوز (٢). واسع يشتمل على عدة مدن وإقليم وقرى وأجزاء وحصون.

وقد زودنا كل من الرازي والعذري بصورة واضحة عن التقسيم الإداري لكورة بلنسيه، فالرازي يشير إلى المدن والحصون التي كانت تدخل في نطاق الكورة، فيذكر قاعدة الكورة، وهي بلنسيه (مدينة التراب) كما يذكر من مدنها شاطبة وشقر (٣)، ومن الحصون مريبطر(٤). أما العذري فمعلوماته التي يزودنا بها عن التقسيم لكورة بلنسيه أكثر تفصيلا ووضوحا، فبعد أن يذكر قاعدة الكورة مدينة بلنسيه (مدينة التراب) كما يذكر من مدنها شاطبة وشقر (٥)، ومن الحصون مريبطر (٦)، أما العذري فمعلوماته التي يزودنا بها عن التقسيم الإداري لكورة بلنسيه أكثر تفصيلا ووضوحًا، فبعد أن يذكر قاعدة الكورة (مدينة بلنسيه).

صدى ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري في الأندلس:

حفل عصر الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨- ١٧٢هـ/ ٧٥٦- ٧٨٨م) بكثير من الفتن الثورات التي كثيرا ما كانت تشجعها الخلافة العباسية بالمشرق، مستهدفة القضاء على دولة الأمويين الفنية في الأندلس.

وقد كان شرق الأندلس مسرحا رئيسيا لعدد من هذه الثورات أبرزها وأكثرها خطورة ثورة تزعمها أحد الفهريين المغامرين في إفريقيا من أعقاب عقبة بن نافع الفهري يدعى عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلي لطوله وشقرته وزرقة عينيه (٧).

---

(١) معجم البلدان، م١، ص ٣٩.

(٢) الحوز هو زمام الكورة كله، أي ما يتبعها من الأرض والمدن، وخطة البلد هي المساحة التي تغطيها المدينة وما يتبع حكومتها من الأرباض والقرى. راجع مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص ٦٧.

(٣) شقر (**Jucar**): تقع جنوبي بلنسيه وشرقي شاطبة، وقد وصفها العذري بأنها جزيرة أحاط بها الوادي من جميع جهاتها لم يبق لها إلا موضع لطيف يدخل منه إلى هذه الجزيرة، واشتهرت بكثرة الأشجار والثمار. للمزيد راجع: الإدريسي: نصوص عن الأندلس، ص ١٩، الحميري، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

(٤) **Levi- provencal, La description de l'Esp, p** ٧١.

(٥) الإقليم هو كل قرية كبيرة جامعة أو البادة وحوزها المتصل بها، فالأقليم يضم عدة قرى، وهو وحدة إدارية ومالية، تتبع الكورة أو المدينة (ياقوت، معجم البلدان، م١، ص ٢٦، مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٧٨).

(٦) يعرف ياقوت الجزء في كلامه عن مينة رياح فيقول: ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الأجزاء، فالأجزاء قد تكون مساحات من الأرض خصصت للإبل والماشية، ولا تكون مملوكة لأحد وإنما مشاعا للجماعة كلها، معجم البلدان، م٢، ص ٧٤٧، مؤنس: نفسه، ص ٥٨٧.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٥، دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا، ج١، ترجمة حسن حبشي، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٣، ص ٢٢٨، سالم، تاريح المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٠١، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٦.

ومن المرجح أن هذه الثورة كانت جزءا من مخطط واسع النطاق يهدف إلى إسقاط دولة عبد الرحمن، اشتركت فيه العناصر المحلية في الأندلس مع قوتين كبيرتين متحالفتين هما الدولة العباسية والدولة الكارولنجية، ولا يهمنا أن ندخل في تفاصيل هذه المؤامرة الدولية الكبرى بقدر ما يهمنا معرفة نصيب بلنسيه من ثورة عبد الرحمن الفهري المذكور، فبعد أن عبر إلى الأندلس ف سنة ١٦١هـ (أواخر ٧٧م) نزل بساحل تدمير، ودعا للخلافة العباسية قبل أن يتفق مع رفاقه الثوار على وقت محدد لذلك، فلما طالب زميله سليمان بن يقظان الأعرابي والي سرقسطة بالعون لم يبادر هذا بنصرته بحجة انتظاره وصول قاولة (شارلمان) ولهذا لم يتضامن الثوار فيما بينهم وأمكن للأمير عبد الرحمن الداخل أن يقضي على ثورتهم بكل يسر فعندما لم يجد الفهري استجابة من الأعرابي تقدم لمحاربته، ولكن الأعرابي لم يلبث أن أوقع به الهزيمة بالقرب من برشلونة [١]، وأرغم الصقلي (الفهري) على الانسجام جنوبا، فاتجه بسفنه إلى سواحل بلنسيه وعندئذ بادر الأمير عبد الرحمن الداخل بمهاجمته، وتمكن من إحراق سفنه حتى يقطع عليه طريق الفرار واضطر الصقلي إلى التماس النجاة، ففر بفلوله وتحصن بجبال بلنسيه، وانتهى أمره بأن قتل على يد أحد البربر البرانس يقال له مشكار، الذي حمل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن، وتم ذلك في سنة ١٦٢هـ (٧٧٨م)، وبمقتل عبد الرحمن بن حبيب الفهري (الصقلي) فشل ذلك التحالف الذي كان يهدف إلى القضاء على الدولة الأموية الناشئة [٢].

وقد لعب أهل بلنسيه دورا مهما تأييدا لثورة الفهري، بدليل أن هذا التأثر لاذ بجبال بلنسيه، ويورد العذري خبرا يشير إلى أن الأمير عبد الرحمن الداخل قام بتخريب بلنسيه في سنة ١٦٢هـ (٧٧٨م)[٣]، ولا نشك في تخريب بلنسيه كانت له علاقة وثيقة بالفهري، فقد حدث هذا التخريب في سنة ١٦٢ هـ، وهو نفس العام الذي قتل فيه الفهري، ولعل العذري بإشارته إلى تخريب بلنسيه إنما كان يعني أن الأمير الأموي

(١) برشلونة (**Barcelona**) قاعدة تطالونية وتقع شمال شرقي الأندلس على البحر المتوسط، وقد اشتهرت بالحنطة والحبوب والعسل، انظر: الإدريسي، نفسه، ص ١٩١، ياقوت، نفسه، م١، ص ٣٧٧، م٣، ص ٥٣٢، الحميري، نفسه، ص ٤٢.

(٢) عن ثورة عبد الرحمن الفهري (الصقلي) راجع: العذري، نفسه، ص ١١، ابن عذاري: نفسه، ج٢، ص ٥٥– ٥٦، وابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد الرابع، طبعة بيروت، ص ٢٦٨، دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا، ج١، ص ٢٢٨– ٢٣٠، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٠١– ٢٠٣، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٦– ١٠٧.

(٣) نصوص عن الأندلس، ص ١٨.

p. Ibars, Valencia, arabe, pp. ٥٦–٥٩.

حرص على استئصال شأفة الثوار في بلنسيه أنصار الفهري، فأقدم على تخريب معاقلهم وتدمير حصونهم [1].

المملكة الإسلامية الثانية في بلنسيه في القرن الخامس الهجري:

وقد تأسست مملكة إسلامية في بلنسية عام ٤٠١هـ -١٠١٠ م على يد اثنين من موالي (المنصور بن عامر)، ولم يكن عملهما بهذه المملكة يعدو تفقدهما لشئون الري والمحافظة على نظامه في منطقة بلنسية، لكنهما تمردا وأعلنا استقلالهما على أن يكون الحكم شركة فيما بينهما، ولم يلبث أن توفي أحدهما، فأبعد أهلها الآخر عن المدينة، وصارت بلنسية خاضعة لحكم حاكم برشلونة إلى أن فتحها (عبد العزيز بن عبد الرحمن) حفيد المنصور بن عامر. ووقعت بلنسية في القرون التالية تحت سيطرة حكام (ملوك الطوائف). ثم (المرابطين)، ثم (الموحدين)، إلى أن احتلها الفرنجة عام ١٢٣٨م بعد سقوط قرطبة بسنتين.

وهناك كثرة من الفتوحات من السكان المور ضد القاعدة المسيحية، وأخطر تلك التي رأسها زعيم مور محمد أبو عبد الله المعروف أيضا باسم الأزرق. قاد تمرد هام في ١٢٤٤، ١٢٤٨ و ١٢٧٦ م. وخلال أول فتح المسلمين بايجاز الاستقلالية للأراضي الجنوب من خوكار(Jucar) ، ولكن اضطر إلى الاستسلام بعد فترة وجيزة. خلال الثورة الثانية، وقتل الملك جيمس الأول تقريباً في المعركة، ولكن الأزرق خضع أخيراً، حياته فقط لأن يدخر وقتاً طويلاً من العلاقة مع العاهل المسيحية. وخلال المرحلة الثالثة والأزرق نفسه ولكن قتل ابنه واصل المسلمين تشجيع الاضطرابات والفتوحات المحلية ظلت دائماً في الافق.

سقوط بلنسية.. ردة الحاكم والأرض! (في ذكرى سقوطها: ٢٧ من صفر ٦٣٦هـ)

تعرضت الأندلس لمحن متوالية في القرن السادس الهجري= الثالث عشر الميلادي، ولم تجد من يمد لها يدا أو يصد عنها عدوانا، وزاد من ألم المحنة أن حكام الأندلس تخاذلوا عن القيام بواجبهم، وتخلوا عن مسئوليتهم التاريخية تجاه أعدائهم النصارى الذين تفتحت شهيتهم لالتهام قواعد الأندلس الكبرى واحدة بعد أخرى.

وبدلا من أن توحد المحنة صفوف حكام البلاد وتشحذ همتهم وهم يرون الخطر المحدق بهم من كل جانب فيهبوا للدفاع عن الأندلس وحمايتها من عدوان النصارى -

(١) وتجدر الإشارة إلى أن إحدى المدونات المسيحية أوردت خبرا جاء فيه أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان قد أمر بهدم جميع الكنائس القائمة في أسبانيا منذ عهد الرومان والقوط، كما أقدم على حرق رفات القديسيين، وأن المستعربين خشوا على قديسيهم بسبب ذلك، فبادروا بجمع رفات هؤلاء القديسين وآثروا الفرار بها إلى الجبال، وتضيف المدونة بأن قساوسة بلنسيه عندما علموا باقتراب الأمير عبد الرحمن من بلدهم سارعوا بحمل رفات قديسهم سان بيثنتي (شنت بنجنت **Sanvicente**)

راحوا يهرولون إلى أعدائهم، يمالئونهم ويصانعونهم على حساب الشرف والكرامة، بل على حساب وطنهم وأمتهم ودينهم.

وكانت بلنسية –وهي من حواضر الأندلس العظيمة التي تقع على البحر المتوسط– قد تعرضت لفتنة هائجة وثورة جامحة في مطلع القرن السابع الهجري، ولم تهدأ إلا بتولي أبي جميل زيان بن مدافع مقاليد الحكم فيها، بعد أن انسحب واليها السابق أبو زيد بن أبي عبد الله محمد من المدينة، وبخروجه انتهى حكم دولة الموحدين في شرق الأندلس(١).

وبعد خروج أبي زيد من بلنسية سنة (٦٢٦هـ= ١٢٣٠م) فعل ما لم يكن يخطر على بال مسلم، وذهب إلى ملك أراجون خايمي الأول، وأعلن دخوله في طاعته، وعقد معه معاهدة دنيئة يتعهد فيها بأن يسلمه جزأ من البلاد والحصون التي يستردها بمعاونته. ولم يتوقف هذا الحاكم الخائن عند هذا الحد من الخزي، بل ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية، واندمج في القوم الذين لجأ إليهم، وأخذ يصحبهم ويعاونهم في حروبهم ضد المسلمين(٢).

ملك أراجون يتطلع إلى بلنسية:

وبعد أن أمسك أبو جميل زيان بزمام الأمور في بلنسية عمل على توطيد سلطانه وتثبيت حكمه وتوسيع أملاكه، والثأر من النصارى الذين خربوا بلاده في حملات متتابعة، وساعده على ذلك أن ملك أراجون كان مشغولا بغزوات أخرى، فانتهز أبو جميل هذه الفرصة وقام بعدة حملات موفقة على أراضي أراجون على شاطئ البحر حتى ثغر طرطوشة، وحقق أهدافه في كل حملة يقوم بها. ولما انتهى ملك أراجون من حملاته وعاد إلى بلاده بدأ يفكر في الاستيلاء على بلنسية والقضاء على خطرها، وكان تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى استعداد عظيم وخطة محكمة، وكان يدرك أن بلنسية لن تقع في يديه إلا بعد أن يعزلها عن جيرانها، ويحرمها من كل وسائل الدعم والعون، حيث إن مواردها المحدودة لن تسمح لها بالاستمرار في المقاومة والدفاع، وكان هذا الملك يعلم أن زعماء المسلمين في شرق الأندلس على خلاف عظيم(٣).

وفي اللحظة المناسبة أخذ ملك أراجون قراره بالغزو بعد أن استعد له، وطلب من البابا أن يبارك حملته، وأن يضفي عليها صفة الصليبية، فاستجاب لطلبه، وهرع إلى

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس– عصر المرابطين والموحدين– مكتبة الخانجي– القاهرة ١٤١١ هـ= ١٩١٠م، ص ١٣٢.
(٢) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب– تحقيق: إحسان عباس– دار صادر–بيروت– ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م، ص ٢٣٣.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٥.

مساعدته كثير من الفرسان والسادة. البداية من بريانة وفي أواخر سنة (٦٣١هـ=١٢٣٣م) بدأت قوات ملك أراجون وبصحبته والي بلنسية السابق الذي تنصر (أبو زيد) في الزحف إلى أراضي بلنسية الشمالية، وتمكنت من الاستيلاء على بعض المدن والقلاع المهمة في شمال بلنسية، وكانت أول قاعدة مهمة من إقليم بلنسية يقصدها الأراجونيون هي بلدة بريانة الواقعة على البحر المتوسط، وعلى مقربة من شمال بلنسية، وضربوا عليها حصارا شديدا بعد أن خربوا ضياعها وزروعها القريبة[1].

وتعرضت مدينة فالنسيا أو "بلنسية" الأندلسية لحصار شديد فرضه خايمى الأول ملك مملكة أراجون المسيحية بصحبة فرسان برشلونة والمتطوعين الفرنسيين، وكانت الإمدادات تنهال عليه بالمقاتلين والمؤن، وبلغ مجموع هذه الحشود أكثر من ٦٠ ألف مقاتل، وبدأ الحصار في (٥ من رمضان ٦٣٥هـ / أبريل ١٢٣٨م) .

وإزاء هذا الحصار المُحكم لمدينة بلنسية،، عزم أهل المدينى على الثبات والدفاع عنها حتى آخر رمق، وكان ملك بلنسية أبو جميل زيان بن مردنيش أكثرهم عزما وإصرارا، وبذل محاولات حثيثة لطلب النجدة من االقوى الإسلامية القريبة، لكنها كانت عاجزة عن أداء واجبها؛ فامتد بصره إلى الجانب الآخر من إسبانيا حيث دولة الحفصيين القوية التى تحكم تونس، وبعث إليها بسفارة على رأسها وزيره وكاتبه المؤرخ الكبير ابن الأبار القضاعي، يحمل إلى سلطانها أبي زكريا الحفصي بيعته وبيعة أهل بلنسية، ويطلب منه سرعة النجدة والنصرة.

ولما وصل ابن الأبار إلى تونس، ومثل بين يدي سلطانها في حفل مشهود ألقى قصيدته السينية الرائعة التي يستصرخه فيها لنصرة الأندلس، ومطلعها:

أدرك بخيلك خيلِ الله أندلسا إنّ السبيلَ إلى مناجاتها درسا

وهبْ لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وفي بلنسيةٍ منها وقرطبةٍ ما ينسف النفسَ أو ينزف النفسا

مدائنٌ حلّها الإشراك مبتسما جذلانَ وارتحل الإيمانُ مبتئسا

وكان لهذه القصيدة المُبكية أثرها في نفس السلطان الحفصي، فبادر إلى نجدة البلدة المحاصرة، وأسرع بتجهيز ١٢ سفينة حربية محملة بالمؤن والسلاح، وعهد بقيادة هذه

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس– عصر المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص ١٥٦.

النجدة إلى ابن عمه أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى الشهيد، وأقلعت هذه السفن على جناح السرعة إلى المحاصرين لنجدتهم، لكنها لم تتمكن من إيصال هذه النجدة إلى أهلها، نظرا للحصار الشديد المفروض على بلنسية من جهة البحر، وانتهى الأمر بأن أفرغت السفن شحنتها في ثغر دانيه الذي يقع بعيدا عن بلنسية المحاصرة، وهكذا فشلت محاولة إنقاذ المدينة وإمدادها بما يقويها على الصمود.

وعلى الرغم من حصانة بريانة وقوتها فإنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها الحصار وتهزم العدو، فسقطت بعد شهرين من الحصار بعد أن نفدت المؤن والأقوات، وذلك في (رمضان ٦٣٠هـ= يوليو ١٢٣٣م) (١).

وواصل ملك أراجون حملته ونجح في الاستيلاء على عدد كبير من القلاع المهمة القريبة من بلنسية، ثم عاد إلى بلاده سنة (٦٣٣هـ=١٢٣٥م) بعد عامين قضاهما في تنفيذ مخططه، ليتابع شئون دولته الداخلية، وأقام هناك عامين توقفت خلالهما عملياته العسكرية ضد بلنسية، منتظرا الفرصة المناسبة للانقضاض عليها. وفي الطريق.. أنيشة ولما عاود ملك أراجون غزواته للاستيلاء على بلنسية تطلع إلى أن يحتل حصن أنيشة المنيع الواقع على سبعة أميال من بلنسية، وكان هذا الحصن يقع على ربوة عالية، ويطل على مزارع بلنسية وحدائقها، ويعد من أهم حصونها الأمامية. وفطن الأمير زيان إلى أن عدوه يسابق الزمن حتى يضع يده على هذا الحصن المنيع، فقام بهدم الحصن وتسويته بالأرض، غير أن هذا الإجراء لم يثن ملك أراجون عن احتلال الحصن، فاتجه إليه بحشود ضخمة وبصحبته الأمير المرتد، وهاجم أنيشة وهزم المسلمين الذين تصدوا لمقاومته، واحتل المكان وابتنى فوقه حصنا جديدا منيعا، ووضع به حامية قوية، واتخذ منها قاعدة للسلب والإغارة على مختلف نواحي بلنسية(٢).

وشعر الأمير زيان بخطورة القلعة التي أصبحت تهدد سلامة بلاده، فعزم على استعادة هذا الحصن مهما كان الثمن، فجهز جيشا كبيرا تصفه بعض المصادر بأنه بلغ أكثر من ٤٠ ألف مقاتل، وسار نحو تل أنيشة لاسترداده، وهناك نشبت معركة هائلة لم ينجح المسلمون خلالها في تحقيق النصر على الرغم من شجاعتهم وحسن بلائهم، ومنوا بخسارة فادحة، واستشهدت أعداد هائلة من المسلمين(٣).

(١) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب– تحقيق: إحسان عباس– دار صادر–بيروت– ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م، ص ٢٨١.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٠١.
(٣) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس– عصر المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص ١٨١.

وكان في مقدمة من استشهدوا في هذه المعركة: أبو الربيع سلميان بن موسى الكلاعي كبير علماء الأندلس ومحدثها يومئذ، وكان إلى جانب علومه وأدبه، وافر الشجاعة كريم الخلق، يشهد المعارك ويتقدم الصفوف ويبث روح الشجاعة والإقدام في نفوس الجند، ويحثهم على الثبات، ويصيح فيهم قائلا: "أعن الجنة تفرون؟!"(١).

لكن كل ذلك لم يكن حائلا دون وقوع الكارثة التي حلت فصولها في (٢٥ من ذي الحجة ٦٣٤هـ = ١٤ من أغسطس ١٢٣٧م)، وكان سقوط هذا الحصن نذيرا بأن مصير بلنسية قد اقترب، وأن نهايتها صارت قاب قوسين أو أدنى لا محالة(٢).

وكانت نهاية الفصل الأخير من مأساة بلنسية قد اقتربت، ولاح في الأفق الحزين غروب شمسها، وكان قد سبقها إلى هذا المصير مدينة قرطبة العظيمة التي سقطت في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة، وخيم على الناس روح من اليأس والقنوط، وقلت ثقتهم بعد نكبة أنيشة، وتضاءلت مواردهم، وضعف أملهم في نصير يستنجدون به(٣).

وكانت هذه الظروف الحرجة التي تحيط بأهالي بلنسية أسبابا مواتية لملك أراجون تحثه على الإسراع في الإجهاز على فريسته قبل أن تدب فيها روح قوية قد تمنعه من تحقيق حلمه؛ فخرج إلى الجنوب صوب بلنسية، وأثناء سيره كانت تتوالى عليه رسائل من معظم الحصون القريبة من بلنسية تعلن الدخول في طاعته(٤).

وواصل الملك سيره، وكانت الإمدادات تنهال عليه بالرجال والمؤن حتى إذا اقترب من المدينة كان جيشه قد تضخم بما انضم إليه من حشود الحرس الوطني ببرشلونة، والمتطوعين الفرنسيين الذين جاءوا إليها بطريق البحر، وبلغ مجموع هذه الحشود أكثر من ٦٠ ألف جندي، وبدأ الحصار في (٥ من رمضان ٦٣٥هـ = أبريل ١٢٣٨م) حيث شدد النصارى حصارهم على بلنسية(٥).

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا وأثارت قوات الأرجوانيين حماس أهالي المدينة على الرغم من قلة العدد وضآلة الموارد، فعزموا على الثبات والدفاع عن المدينة حتى آخر رمق. وكان الملك أبو جميل زيان أكثرهم عزما وإصرارا، وبذل محاولات حثيثة لطلب النجدة من البلاد الإسلامية القريبة، لكنها كانت عاجزة عن أداء واجبها؛ فامتد بصره إلى دولة إسلامية فتية تقع في شمال أفريقيا هي دولة الحفصيين، وبعث إليها بسفارة على

(١) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق: إحسان عباس، مرجع سابق، ص ٣٢١.
(٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص ٢٠١.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٣.
(٤) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق: إحسان عباس، مرجع سابق، ص ٣٣٥.
(٥) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص ٢١٣.

رأسها وزيره وكاتبه المؤرخ الكبير ابن الأبار القضاعي، يحمل إلى سلطانها أبي زكريا الحفصي بيعته وبيعة أهل بلنسية، ويطلب منه سرعة النجدة والنصرة. ولما وصل ابن الأبار إلى تونس، ومثل بين يدي سلطانها في حفل مشهود ألقى قصيدته السينية الرائعة التي يستصرخه فيها لنصرة الأندلس(١)، ومطلعها:

أدرك بخيلك خيلِ الله أندلسا إنّ السبيلَ إلى مناجاتها درسا

وهبْ لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وفي بلنسيةٍ منها وقرطبةٍ ما ينسف النفسَ أو ينزف النفسا

مدائنٌ حلّها الإشراك مبتسما جذلانَ وارتحل الإيمانُ مبتئسا

وكان لهذه القصيدة المبكية أثرها في نفس السلطان الحفصي، فبادر إلى نجدة البلدة المحاصرة، وأسرع بتجهيز ١٢ سفينة حربية محملة بالمؤن والسلاح، وعهد بقيادة هذه النجدة إلى ابن عمه أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى الشهيد، وأقلعت هذه السفن على جناح السرعة إلى المحاصرين لنجدتهم، لكنها لم تتمكن من إيصال هذه النجدة إلى أهلها، نظرا للحصار الشديد المفروض على بلنسية من جهة البحر، وانتهى الأمر بأن أفرغت السفن شحنتها في ثغر دانيه الذي يقع بعيدا عن بلنسية المحاصرة، وهكذا فشلت محاولة إنقاذ المدينة وإمدادها بما يقويها على الصمود(٢).

(١) روبار برنشفيك: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي– ترجمة حمادي الساحلي– دار الغرب الإسلامي–بيروت –١٩٨٨م، ص ٤٣١.

(٢) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب– تحقيق: إحسان عباس، مرجع سابق، ص ٣٦١.